العمارة الحجرية في يافع

احمد إبراهيم حنشور
قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة عدن - اليمن

الملخص

يمثل الموروث المعماري اليمني الصورة الصادقة لتطور الحضارة اليمنية، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالخصائص البيئية والمناخية والطبوغرافية للمنطقة التي نشأ فيها، فضلاً عن الطبيعة الاجتماعية والثقافية للإنسان.

وقد تميزت العمارة اليمنية التقليدية بالتنوع الهائل في أنماط البناء الذي جاء معبراً عن بيئته المحيطة وعن الفترة الزمنية التي ظهر فيها ومنها "العمارة الحجرية في يافع" التي تكمن أهميتها في الحفاظ على أصالتها وهويتها الممتدة في عمق التاريخ حيث ظلت محتفظة بسماتها المميزة منذ آلاف السنين والتي تتجلى في التناغم المتبادل بين الطبيعة والعمارة من جهة، والعلاقات الاجتماعية من جهة أخرى، إلا أنها تعرضت في المرحلة الحديثة لغزو مواد البناء الجديدة التي انتشرت كانتشار النار في الهشيم بالرغم من أنها لا تلاءم المناخ السائد في تلك المنطقة.

الكلمات المفتاحية: العمارة الحجرية، العوامل الطبيعية، الحجر، الطين، البناء الحديث.

1. المقدمة

تميز اليمن بتعدد مناطقه الجغرافية وتنوع الخصائص البيئية والمناخية والطبوغرافية واختلاف مواد البناء المحلية، الأمر الذي ساهم في ظهور أنماط عمرانية مختلفة تستخدم مواد البناء المتوفرة محليا وتتميز بخصائص معمارية ساهمت في إنتاج أنماط متعددة من العمارة اليمنية التقليدية.

وتمثل العمارة الحجرية في يافع نموذجاً رائعاً للتنوع العمراني والمعماري للعمارة التقليدية في اليمن، وتكمن أهمية هذا النمط المعماري اليافعي في الحفاظ على أصالته وهويته الممتدة في عمق التاريخ حيث ظل محتفظاً بسماته المميزة منذ آلاف السنين والتي تتجلى في التناغم المتبادل بين الطبيعة والعمارة من جهة، والعلاقات الاجتماعية من جهة أخرى، وقد أثبت عبر الزمن مدى صلاحيته وكفاءته وملائمته للعوامل المناخية والبيئية للمنطقة وتلبيته لمتطلبات السكان واحتياجاتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

1.1 هدف البحث:

يهدف البحث إلى التعريف بالعمارة اليافعية والجوانب الإنشائية للمباني الحجرية متعددة الطوابق، والإلمام بقيمة هذا الإرث المعماري خصوصاً قدرته على خلق نوع من التكامل والتناغم المتبادل بين الطبيعة والعمارة، ولفت أنظار المهندسين والمؤسسات العلمية والرسمية المختصة إلى أهمية هذا النمط من أنماط العمارة اليمنية التقليدية ومدى ملائمته للبيئة المحلية بهدف حمايته من التحديات والتهديدات المتزايدة التي يواجهها هذا الإرث المعماري التقليدي جراء انتشار أنماط البناء الحديثة التي تستغني عن استخدام مواد البناء المحلية والمهارات والتصاميم والفنون المعمارية التقليدية المتوارثة.

كما يهدف إلى إرساء الفكر المعماري اليمني التقليدي وإنشاء جسر للتواصل يربط بين الطابع العام للعمارة التقليدية وطابع العمارة الحديثة من خلال التفهم لمتطلبات العصر الذي نعيشه وطبيعة مجتمعنا اليمني.

2.1 منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتاريخي والتوثيق الفوتوغرافي من خلال الصور المعروضة في البحث وكذا النزول الميداني إلى مناطق مختلفة من يافع للتعرف على طرق البناء التقليدية في يافع، ونقل صورة حية لواقع العمارة اليمنية التقليدية والحديثة.

2- التاريخ والموقع:

عرفت يافع قديماً باسم "د هـ س" أو "سرو حمير"، ويافع اسم ذو دلالتين: يافع المنطقة، ويافع القبيلة، ذكرت في نقش النصر الذي كتبه الملك السبئي كرب إل وتر والذي يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد. وقد كشفت التنقيبات الأثرية في منطقة الحَدّ عن نشاط إنساني وحضاري يعود إلى وقت مبكر من تاريخ اليمن القديم [3].

تمتد منطقة يافع من الجهة الغربية لمحافظة أبين إلى الجهة الشمالية الشرقية لمحافظة لحج بين خطي طول 45-46 وخطي عرض 13-14 (شمال شرق عدن) يحدها من الجنوب ساحل البحر ومن الشمال البيضاء، ومن الشرق لودر (مكيراس) ومن الغرب الضالع وحالمين[2].

وجغرافية منطقة يافع في معظمها سلاسل جبلية متداخلة تتباين ارتفاعاتها ما بين 2000إلى 8225 قدم عن سطح البحر، وتتخللها كثير من الوديان أشهرها وادي ذي ناخب، ووادي حَطِيب، وادي يَهَر ووادي بَنَا[2].

ونتيجة لقلة المساحة الأفقية، التي لا تتجاوز المئات من الكيلومترات المربعة، جرى استغلال المساحات الجبلية الجانبية فأنشئت المدرجات الزراعية والمصاطب الجبلية في كل أنحاء المنطقة.

3- المناخ:

طقس يافع معتدل نظرا لارتفاعها عن سطح البحر، ففي الصيف لا تتجاوز درجة الحرارة 30 درجة مئوية نهارا، وتهبط في الليل إلى ما دون 20 درجة مئوية، وفي الشتاء طقسها بارد جاف تصل درجة الحرارة فيه إلى 7 درجات مئوية [1].أي أن اختلاف درجة الحرارة بين فصلي الصيف والشتاء قد يصل إلى أكثر من 15درجة مئوية، بينما يزيد اختلاف درجات الحرارة بين النهار والليل عن 20 درجة مئوية.

أمطارها موسمية صيفا وخريفا بفعل الرياح الموسمية القادمة من المحيط الهندي جنوبا، وتتأثر بمناخ مناطق شبه الجزيرة العربية بالرياح الشمالية شتاء [1].

4- التخطيط العام للمنطقة:

بسبب جغرافية المنطقة المكوّنة في معظمها من سلاسل جبلية متداخلة لم تنشأ المدينة المنتظمة التخطيط بالمعنى الحرفي للمدينة، وتكونت المدن في منطقة يافع من تجمعات سكنية تنتشر على قمم الجبال وضفاف الأودية مكونة لوحة معمارية بديعة(شكل 1).

شكل 1: منظر عام لمنطقة يافع من فوق جبل ثمر

5- المميزات المعمارية للمنزل اليافعي:

قدمت العمارة الحجرية في يافع معالجات هندسية تُظهر التناغم المتبادل بين العمارة والبيئة الطبيعة، أسهمت في خلق توافق بيئي وعمراني يعتمد على استغلال طبوغرافية الأرض الاستغلال الأمثل، وعلى المواد المحلية كالحجر والطين والخشب لبناء عمارة تتلاءم مع العوامل المناخية السائدة ويمثل صورة رائعة للتكامل بين العمارة والبيئة المحيطة بها، حيث توصلت من خلال التجارب إلى تقنية خاصة تعتمد على بناء الجدران السميكة من الحجر، والتوجيه المناسب للمباني، ومساحات النوافذ والفتحات، فضلاً عن الفوائد والمزايا البيئية - الاقتصادية التي حققتها العمارة الحجرية في يافع حيث يُراعى في البناء التوسع المستقبلي رأسيا، لأن بناءها يتم على مراحل وبفترات زمنيه مختلفة بحسب تكاثر أفراد الأسرة وتطورها حيث يخصص كل دور لسكن عائلة مستقلة من الأبناء المتزوجين، لذا تبنى الأساسات بطريقة واحدة سواء لدور واحد أولستة أدوار، ويتراوح ارتفاع كل دور ما بين 2.7م إلى 3م، وعادة ما يكون ارتفاع جميع الأدوار موحداً.

ويمكن تصنيف مباني العمارة الحجرية في يافع إلى ثلاثة أنماط رئيسية وفقاً لشكل المسقط الأفقي للمبنى هي:

1- المبنى المربوع
2- مبنى التطليعة
3- مبنى العَديل

5-1- المبنى المربوع:

يعتبر المبنى المربوع من أقدم الأنماط المعمارية للعمارة الحجرية في يافع بحسب تأكيد معلمي البناء في المنطقة ومشاهدتنا أثناء النزول الميداني للمنطقة، وسمي بهذا الاسم لأن أبعاده الخارجية متساوية الطول[6].

يتكون كل دور من غرفة رئيسية تسمى (المفرش) وغرفة أخرى تسمى (المربَّعة) وبيت الدرج (شكل 2).

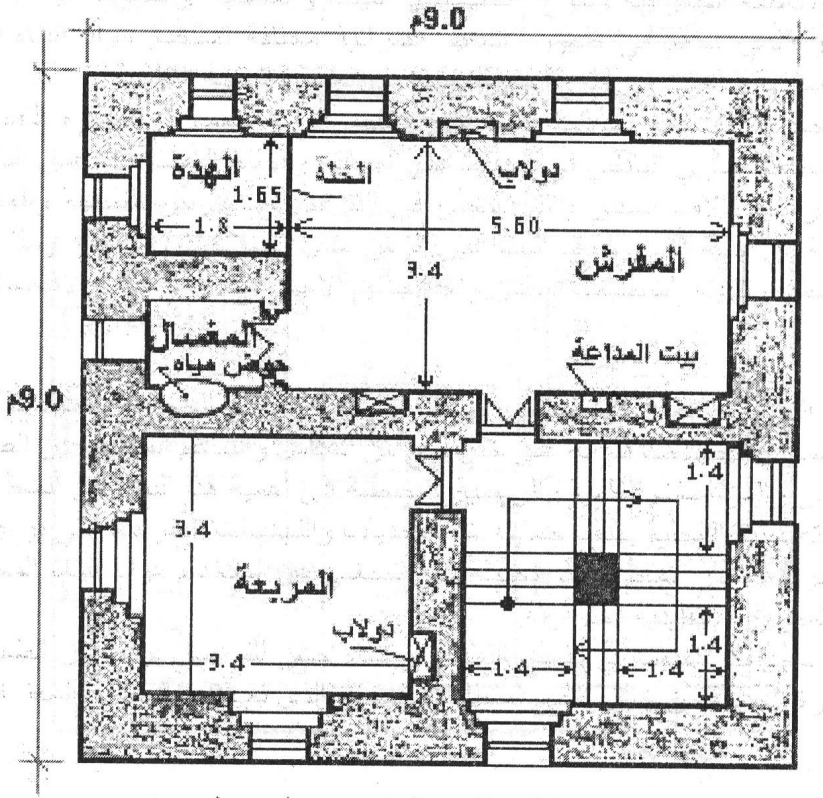

شكل 2: مسقط أفقي للدور المتكرر من المبنى المربوع
عن: شجاع، 2008

5-2- مبنى التطليعة:

وهو مبنى من النوع المربوع مضاف إلية تطليعة، والتطليعة عبارة عن توسع إضافي في المساحة من الجهة الأخرى بمقدار يساوي مساحة المفرش مع بروز إضافي في الجهة الأمامية (شكل 3) وهذا النمط من المباني يعتبر تطويراً للنمط المربوع مع زيادة في المساحة المستخدمة.

5-3- مبنى العَدِيل:

مبنى سكني مستطيل المسقط واسع في المساحة ويشمل نفس المساحات التي يشملها النوع الأول ونفس وظائفها وله مدخلان في الطابق الأرضي مدخل أمامي ومدخل خلفي (شكل 4). وجاءت تسمية العديل من التصميم المتناظر في المفرشين.

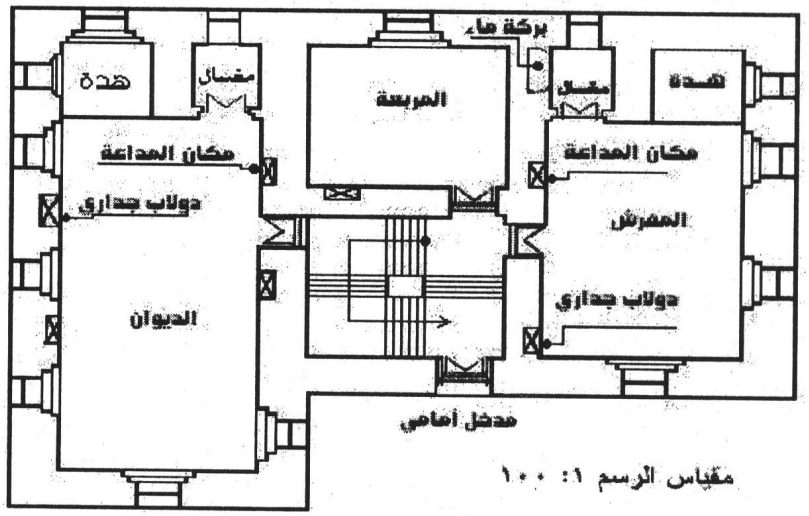

شكل 3: مسقط أفقي للدور المتكرر من مبنى التطليعة

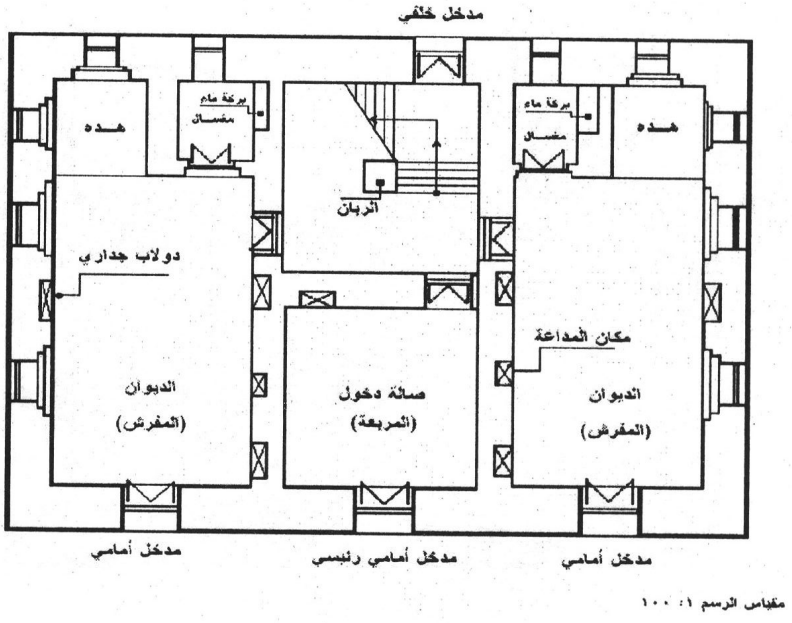

شكل 4: مسقط أفقي للدور المتكرر من مبنى العديل
عن: شجاع، 2008 ، إعادة رسم

6- التخطيط وعناصر المبنى ومراحل البناء :

بعد اختيار الموقع الخاص بالبناء، كانت هناك طقوس معينة لاختبار ملاءمة الموقع للسكن، منها وضع البيض في أركان الموقع ليلا ويتم معاينته صباح اليوم التالي فإذا تغير لون البيض أو كُسِر يتم تغيير الموقع لعدم صلاحيته، وذلك لحساسية البيض للانبعاث الحراري من باطن التربة، حيث يستنتج من ذلك الاختبار أن أرضية الأساسات عالية المسامية وبالتالي عدم صلاحيتها كقاعدة لبناء المنزل.

والغالب في هذه المنطقة أنه لا يتم الحفر لأغراض الأساسات، حيث يتم وضع أساسات المباني فوق صخور صلبة، إلا أن ضيق المساحات على سفوح الجبال وضفاف الأودية يتطلب نحت الجبال لإعداد الأرضية المناسبة، ويتم ذلك بجهد وكلفة عاليتين، وأحيانا يتم اللجوء إلى بناء الدور الأرضي من المبنى على مستويات متباينة.

وقبل الشروع في البناء يتم تخطيط المبنى على الأرض وتحديد التوجيه الصحيح للمبنى حيث يتم وضع المدخل في الجهة الجنوبية أو الشرقية وهو ما يتلاءم وطبيعة المنطقة اليمنية وقد أثبت العلم الحديث صحة ذلك[6].

6-1- بناء الجدران (الجدران الحاملة) :

يتم تجهيز مواد البناء من الحجر والطين مسبقا في موقع المبنى للبدء بعملية البناء، ويتم اختيار أحجار الأساس (جدران الدور الأرضي) بعناية تامة من حيث جودة نوعيتها وصلابتها وكبر حجمها، ويتكون جدار المبنى عادةً من الحجارة الخارجية وتسمى "الظّهارة" وهي أحجار منتقاة بعناية من حيث استواء وجه الحجر الخارجي وتجانس لونه، والحجارة الداخلية وتسمى "البطانة".

يبدأ المعلّم بالتأكد من تثبيت الزوايا القائمة للمبنى، ثم يقوم بوضع أول حجر في ركن المبنى، وانطلاقاً من زوايا المبنى الأربعة يقوم بحساب مقاسات كل حجر يضعها في كل مدماك حتى الانتهاء من بناء الدور بكامله، حيث يتم بناء جدران " الظّهارة" أولاً بارتفـاع 3 إلى 4 مداميك (70 - 80 سم تقريباً)، بعدها يقوم ببناء جدران "البطانة" وتتم برص مدماك من الحجارة وربطه بالظّهارة وذلك بملء الفراغات بينهما "بالكَبْس". والكبس عبارة عن قطع صغيرة من حجر الجرانيت يتم غرسها في المونة الطينية (الخُلب) لتعبئة الفراغ بين جدران الظّهارة والبطانة وجعلهما كتلة واحدة لضمان متانة الجدران.

يتم تسوية الحجارة غير المستوية في كل مدماك بوضع أكسار الأحجار (المياضير مفرده: مِيضار) تحت أو في جوانب الحجر للحصول على التوازن والترابط المطلوب للحجارة(شكل 5). يبلغ سُمك مدماك الأساس في حدود 75 سم ويتراوح ارتفاع كل طابق ما بين 2.7م إلى 3م.

بعد اكتمال الدور الأرضي يتم خفض سُمك المدماك إلى الداخل بمقدار 5 سم في كل دور، والغرض من ذلك هو تخفيف الأحمال كلما اتجهنا نحو الأعلى. وفي نهاية كل دور يتم بناء مدماك خاص من الحجارة يطلى بالنّورة البيضاء وذلك لتكون بمثابة حزام أبيض من الخارج وتسمى "صفّة النورة" وهي مَعْلم بارز من معالم البناء اليافعي.

شكل 5: صورة توضح بناء الجدار وطريقة وضع المياضير تحت
أو فى جوانب الحجر للحصول على التوازن والترابط المطلوب

6-2- بناء النوافذ:

عادة ما يخلو الدور الأرضي من البيت اليافعي من النوافذ الخشبية لأنه مخصص لإيواء المواشي وخزن الحبوب باستثناء فتحات صغيرة للتهوية تسمى لهوج (مفردها: لهج). ومن الدور الأول تبدأ النوافذ بالظهور وتزداد مساحاتها الخارجية كلما ارتفعنا نحو الأعلى، وتتميز بتنوع التشكيلات والزخارف الحجرية من الخارج والتشكيلات والزخارف الجصية من الداخل.

يتم تجهيز النوافذ مسبقاً من الأخشاب المحلية بمقاسات متساوية لكل دور، ويتم وضعها على ارتفاع محدد عن الأرضية الداخلية باستثناء نافذة غرفة الهدَة المخصصة للنوم التي ترتفع قليلاً عن مستوى بقية النوافذ.

عند وصول البناء إلى ارتفاع 45 سم يبدأ البنّاء في تحديد النافذة من الداخل على جدران البطانة وترتفع جدران الظهارة لمدماك أو مدماكين بحسب المخطط ثم تركب النوافذ الخشبية على جدران الظهارة أثناء مرحلة البناء ويتم بناء الجدران وأعمدة النوافذ الحجرية حولها، وهذه الطريقة تجعلها واسعة من الداخل وضيقه من الخارج بفضل التدريج الذي يحيط بفتحة النافذة من كل الجهات مما يعطي للغرفة منظراً جمالياً رائعاً (شكل 6).

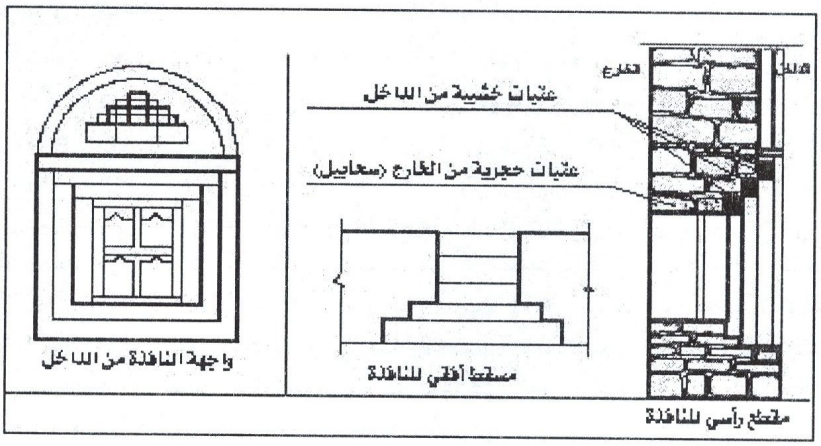

شكل6 :تفاصيل النافذة في المباني التقليدية

6-3- بناء العقود :

تنتشر العقود بكثرة في البناء اليافعي حيث تستخدم فوق المدخل الرئيسي للبيت وفي الدرج وفوق النوافذ، وفضلاً عن الشكل الجمالي فهي تهدف إلى توزيع الأحمال الرأسية فوق الفتحات إلى الجدران الجانبية.

تبنى العقود من حجار مربعة يتم وضعها على شكل نصف دائرة بمهارة عالية تجمع بين متانة البناء وجمال الزخرفة (الأشكال 7، 8).

شكل 7: منظر خارجي لعقود النوافذ

شكل 8: منظر خارجي للعقود فوق الأبواب

6-4- بناء السقوف:

بعد الانتهاء من بناء الجدران يتم وضع المرابيع الخشبية الرئيسية (Timber beam) تسمى الرواكب(وهي أخشاب من شجرة السدر أو العلب تمتاز بالصلادة والمتانة ومقاومة الأرضة، يتم تزيينها بنحت رسوم وزخارف)، توضع فوقها المرابيع الخشبية الثانوية (Timber joists)- تسمى الرعايا- بشكل متعامد، ويتم تغطية الفراغات بين الرعايا بحجارة مسطحة رقيقة تسمى "صَلا" (والصلا حجارة مسطحة رقيقة يصل طولها ما بين40 و 80 سم، وعرضها من 25 إلى30 سم، ويتراوح سمكها بين2 إلى5 سم)، يرص الصلا بشكل متعامد على محاور الرعايا، وتغطى طبقة الصلا بطبقة من خُلب الطين المخدوم جيدا الذي من مزاياه أن الأمطار تعطيه لاحقاً صلابة وتماسكا ومقاومة لتسرب المياه إلى داخل البيوت(شكل 9).

شكل 9: صورة توضح مكونات السقوف في المباني التقليدية

6-5- بناء الدّرج :

عند بدء البناء يتم تحديد الواجهة الرئيسية التي غالباً ما تكون في الجهة الجنوبية أو الشرقية وفيها يحدد موضع المدخل الرئيس "السِّدَّة" الذي يفتح على الدّرج، ويرتفع بناء جدران الدرج مع جدران المنزل بعدد الأدوار التي يتم بناؤها على شكل سلم مربع ينتهي أمام كل دور بصرحة فسيحة (بلاطة مستطيلة)، تفتح منها المداخل (الأبواب) إلى غرف ذلك الدور. وعادة ما يكون في كل دور من البيوت التقليدية المربعة بابان – ثلاثة أبواب في بيوت التطليعة والعديل – وتُفتح نافدتان في جدران الدرج للإضاءة في كل دور.

غالباً ما تستخدم الأخشاب والصلا في سقوف الدرج (شكل 10)، وأحيانا تستخدم أحجار مستطيلة تسمى السحابيل (مفردها سحبوّل) بدلاً من الأخشاب. وأحياناً أخرى تستخدم العقود في الدرج لتحل محل الأخشاب والسحابيل.

شكل 10: صورة توضح مكونات سقف الدرج

6-6- الزخارف والنقوش:

تقتصر الزخارف والنقوش في الواجهات الخارجية للمباني على التشكيلات الحجرية للعقود والأشكال الهندسية المختلفة لحجارة المرو الأبيض الصغيرة داخل جسم العقد(الأشكال 7، 8، 11)، وكذا الزخارف المنحوته على السحابيل (الأحجار المستطيلة الشكل) فوق الأبواب، والأشكال والرسوم والكتابات المنحوتة على أبواب المداخل الرئيسية للبيوت المصنوعة من خشب السدر(العلب) (شكل 12)، فضلاً عن الخطوط البيضاء التي ينتهي بها كل دور (صفة النورة) (شكل 13)، والتشاريف التي تعلو المباني متعددة الطوابق وهي عبارة عن بناء على شكل هرم ذي قاعدة صغيرة تبنى في أركان سطح المبنى الأربعة، وتبنى هذه التشاريف فوق المساجد والمنازل التي يتجاوز ارتفاعها أربعة أدوار، ويسمى المنزل ذو التشاريف بالبيت المشرّف تمييزاً له عن البيت العادي ذي الثلاثة أدوار أو أقل. (شكل 14).

أما الزخارف والنقوش الداخلية فتتميز بغناها حيث تتوزع في جميع أجزاء البيوت ابتداء من عقود الدرج (السلم) وصولاً إلى داخل الغرف، وتكثر بصفة خاصة داخل المفارش، وتتمثل في تشكيلات العقود فوق الأبواب والنوافذ، والفتحات المستخدمة لحفظ بعض أدوات المنزل التي تتوسط الجدران وهي عبارة عن أشكال هندسية تتشكل من الحجارة على هيئة مثلثات وصلبان ونجوم، فضلاً عن الأشكال التي تجدها في فتحة بيت المداعة وأبواب الخلال الكبيرة والمخزنات الصغيرة المنحوتة برسوم وأشكال جميلة (شكل 15).

شكل 11: صورة توضح الزخارف والنقوش والتشكيلات الحجرية لحجارة المرو الأبيض الصغيرة داخل جسم العقد

شكل 12: صورة توضح الأشكال والرسوم والكتابات المنحوتة على أبواب المداخل الرئيسية للبيوت المصنوعة من خشب السدر(العلب)

شكل 13: صورة توضح الزخارف والنقوش والتشكيلات الحجرية لحجارة المرو الأبيض الصغيرة داخل جسم العقد

شكل 14: منزل تقليدي تعلوه التشاريف

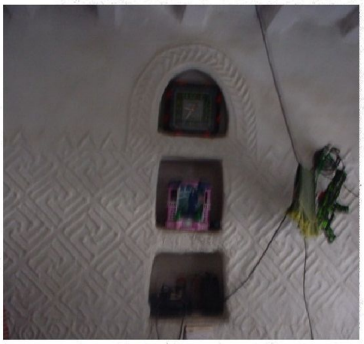

شكل 15: صورة توضح تشكيلات العقود فوق الأبواب والنوافذ، والفتحات المستخدمة لحفظ بعض أدوات المنزل

6-7- اللياسة الداخلية :

كانت تليّس الجدران من الداخل (تُمْحض) بالطين المخلوط بروث البقر المجفف (الضَّفْع) لكي يعطيها التماسك. وفوق الطين كان يتم طلاؤها بطبقة من الجير الأبيض (المثنَة)، وقد تم الاستغناء عن هذه الطريقة حالياً باستخدام اللياسة الإسمنتية.

6-8- التمديدات الصحية :

تصرَّف مياه الأمطار والمغاسل بواسطة قنوات تسريب خشبية مجوفة (المساريب مفردها مُسْرُب) يتم تركيبها في جدار المبنى الخلفي من الخارج، وأحيانا كان يتم وضع حجارة منحوته على شكل مُسْرُب، وفي بعض البيوت يتم بناء مجرى من النورة على طول الجدار من الخارج يطلق عليه (ساحية) لضمان تدفق المياه من المغاسل عبر الفتحات الصغيرة إلى الساحية ومنها عبر الجدار إلى خارج البيوت دون إن تتسرب إلى داخل المنزل(شكل 16).

أما المخلفات الصلبة فكانت تنحصر في حمام خاص يتم بناؤه في السطح يسمى (السَّقَاطة) لإسقاط ما فيها إلى خارج المنزل في موقع خاص بحيث يسهل التخلص منها لاحقاً، أو بناء مواقع خاصة بها خارج المنزل.

شكل 16: صورة توضح الساحية

7- العناصر الوظيفية المكونة للمنزل اليافعي:

يبلغ ارتفاع البيوت في يافع من دورين إلى ستة أدوار، وتختلف وظائف الدور الأرضي عن بقية أدوار المنزل فضلاً عن وجود مدافن للحبوب يتم حفرها في الصخور الصماء خارج المنزل تكون لها فتحة في أعلاها لا تتسع إلا لنزول شخص واحد، تغطى هذه الفتحة بحجارة خفيفة السمك على مقاس الفتحة وتردم بالطين، وتستخدم هذه المدافن لخزن حبوب الذرة لفترات طويلة تزيد على العام.

7-1- مكونات الطابق الأرضي:

يتكون الطابق الأرضي من:

المَنْزلة: وتشغل مساحة المفرش في الأدوار العليا، وتستخدم لإيواء الحيوانات مثل الجزء المخصص للأبقار والأغنام والحمير ويسمى (العَكَم)، وجزء مخصص للدجاج يسمى (المَدَج).

المخزان: ويقصد به المستودع الذي تخزن فيه المواد الغذائية والممتلكات الخاصة.

المطحن: موقع المطحنة الحجرية "الرحى" وتقع بالقرب من المخزان حيث يتم إخراج الحبوب منه وطحنها.(شكل 17).

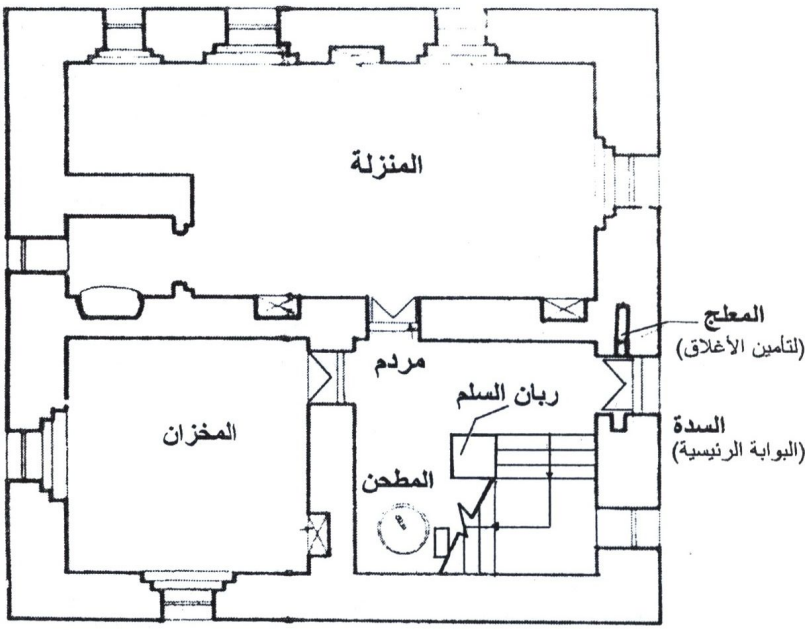

شكل 17: مسقط أفقي للدور الأرضي من النمط المربوع

7-2- مكونات الدور المتعدد:

وفي كل دور من أدوار البيوت التقليدية المربعة توجد غرفتان، غرفة مستطيلة المسقط تسمى "مفرش" والأخرى مربعة المسقط تسمى "المربعة أو العلية أو المُسَرّى "حيث يُسرى إليها للراحة لأن المفرش يستخدم للمنام واستقبال الضيوف خاصة من النساء، وكل زوجين من أفراد العائلة يستقلان بمفرش من مفارش المنزل (شكل2).

7-2-1- المفرش:

تستخدم غرفة المفرش للمعيشة واستقبال الضيوف وهي مصممة كشقه مستقلة، ومكوناتها تلبي كل ما يحتاج إليه الزوجان وأولادهم. ففي أحد طرفيها توجد (الخَلّة) وهي عبارة عن مستودع صغير لخزن الملابس. وفوق سقفها توجد الهدَة التي ترتفع عن الأرضية بحوالي متر وهي مخصصة كسرير لنوم الزوجين، كما يوجد في المفرش مغسال صغير (حمام) يستخدم للاستحمام والوضوء فقط، وفي جدار المفرش كانت توجد العديد من الفتحات التي لها وظائف مميزة وهامة، منها فتحة جدارية تغلق ببابين صغيرين تحفظ فيها الأشياء الثمينة، وتسمى المخزنة. وفتحة مستطيلة مزخرفة بالعقود توضع فيها المداعة (النارجيلة) وتسمى بيت المداعة(شكل 15)، وعلى جوانب النوافذ توجد فتحات تسمى الولج تحفظ فيها الأغراض ذات الاستعمال المتكرر مثل المصباح والقازة والفانوس والنوارة ووعاء الزيت لدهن الأجسام، وأدوات زينة النساء وغيرها (شكل 15)، فضلاً عن وجود عصي غليظة مثبتة في أماكن متفرقة تسمى (المعاليق) تعلق عليها الملابس والبنادق والمساب (مفردها المَسَبّ وهو عبارة عن صرة من جلد الخروف يستخدم لحفظ وحمل الأمتعة والمأكولات)[4].

7-2-2- المُرَبَّعة:

سميت بالمُرَبَّعة لأن أضلاعها متساوية، وهي مجاورة للمفرش في الأدوار المخصصة للسكن، وعادة ما تستخدم لنوم الأبوين المسنين والأطفال البالغين، وتحتوي على هِدَة للنوم، ومغسال، ودواليب جدارية لحفظ الثياب والأدوات المنزلية.

7-3- مكونات الدور الأخير:

يشمل الدور الأخير السطح والديمة (المطبخ) والسَّقَاطة (حمام المخلفات الصلبة) (شكل 18).

7-3-1- الدَّيْمَة:

يطلق لفظ الدَّيْمَة على (المطبخ) وهي عبارة عن مربعة تخصص لطبخ الطعام وحفظ أدوات الطبخ والأكل، تحتوي الدَّيْمَة على الفرن الطيني (المافي)، والمحطابة حيث يتم وضع حطب الطباخة، وجرة الماء الكبيرة (الدَّوُح)، والموقد ويسمى الصُّعْد وهو عبارة عن حجرين صغيرين مستطيلين يتم وضع أواني الطباخة فوقهما وبينهما توضع الأخشاب المشتعلة، ويوجد بسقف الدَّيْمَة فتحة لإخراج الدخان تسمى بالمقطور تغلق بحجر من أعلى عند هطول الأمطار.

7-3-2- والسَّقَّاطة:

عبارة عن حمام خاص يطلق علية (السَّقَّاطة) لإسقاط المخلفات الصلبة إلى خارج المنزل في موقع خاص يسهل التخلص منها لاحقاً.

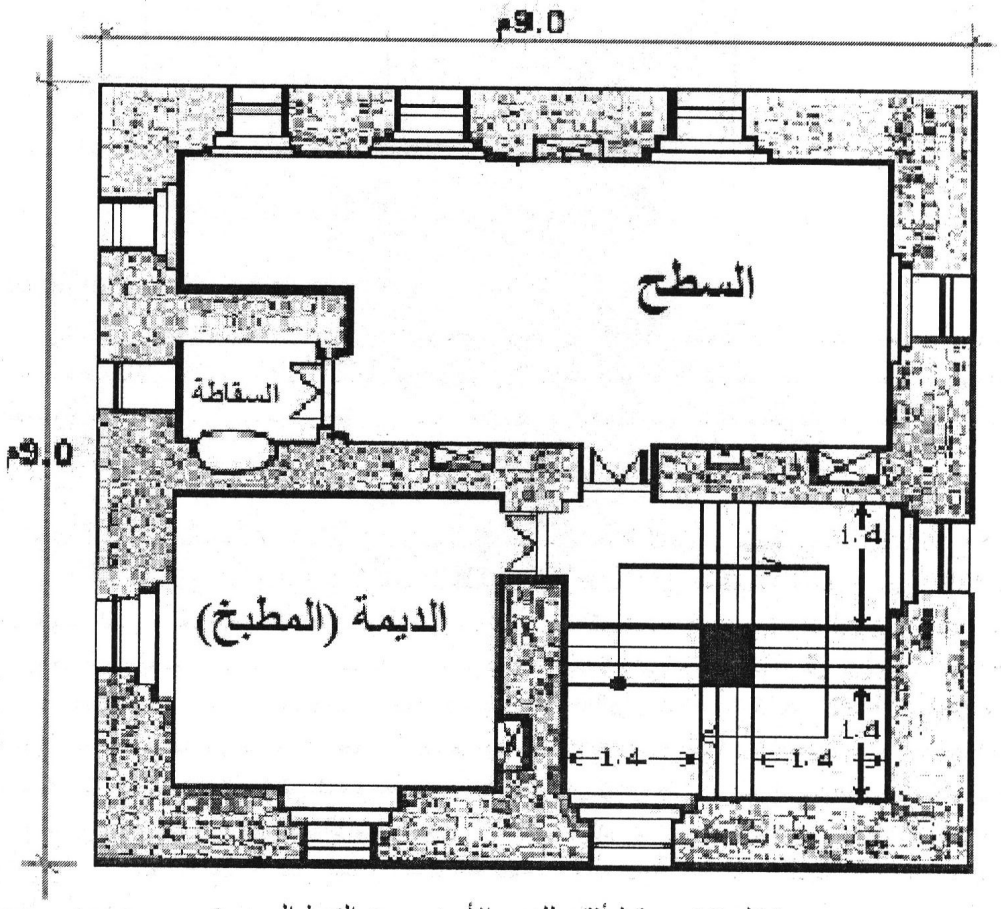

شكل 18: مسقط أفقي للدور الأرضي من النمط المربوع

8- المباني غير السكنية:

شملت العمارة الحجرية في يافع أنواعا أخرى من المباني غير السكنية منها المساجد الصغيرة والمساجد الكبيرة المقببة والمآذن التي يتم العناية بزخرفتها من الخارج بنقوش وأشكال مختلفة من خلال تطويع الأحجار واستخدام الأحجار الملونة (شكل 19) وقبب الأولياء، فضلاً عن النُّوَب (المفرد : نوبه) وهي بمثابة مراكز حراسة يتم التناوب على استخدامها ليلا وفي النهار تكون مستراحا من القيض وكانت تستخدم لإغراض حماية

الزراعة تجاه أي محاولات للخصوم لتخريب الزراعات والتي كانت وسيلة من وسائل الحروب القبلية. والزراعة نفسها كانت بحد ذاتها مجالاً حيويا من مجالات المعمار اليافعي. وقد شمل ذلك بناء المدرجات الزراعية في الجبال والهضاب وبناء قنوات لتوجيه مياه الإمطار إلى الأراضي الزراعية وبناء خزانات المياه (المواجل، المفرد: ماجل).وحتى الطرقات المدرّجة في الجبال كان يتم بنائها بعناية وإتقان لتضمن الحركة الآمنة للقوافل والبشر.

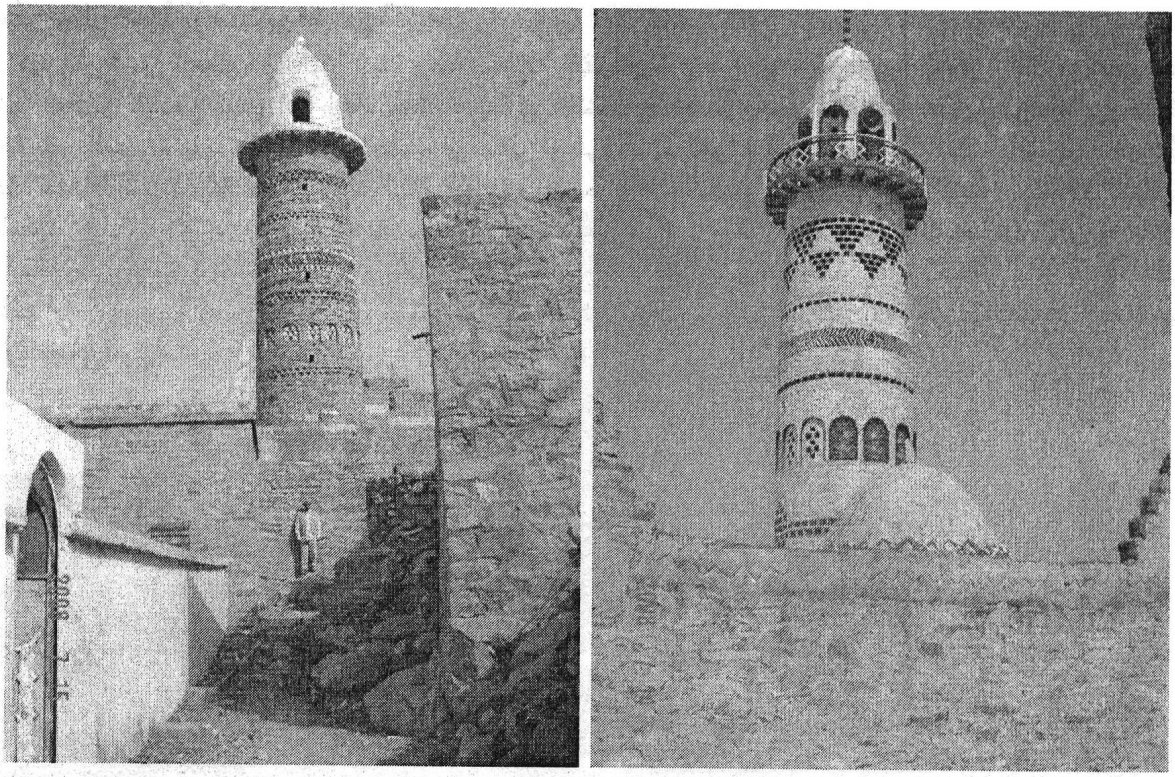

شكل 19: توضح بعض مآذن المساجد

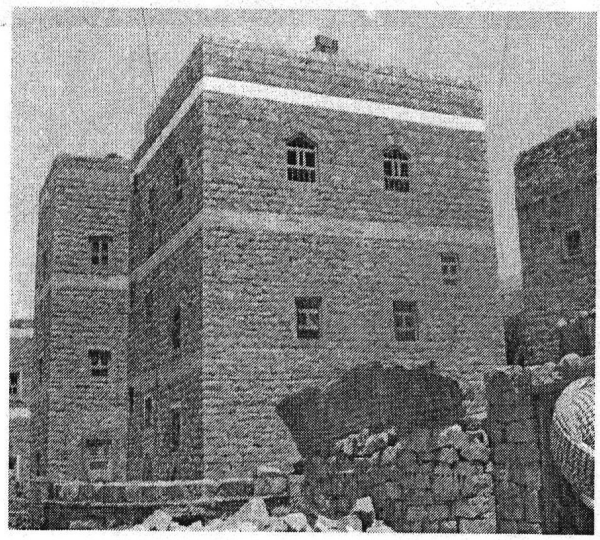

شكل 21: منظر لمبنى تم بناء طابق إضافي إليه

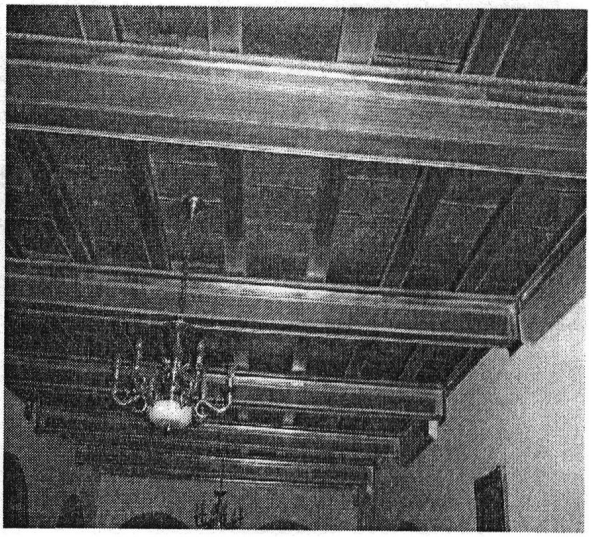

شكل 20: منظر داخلي لسقف استخدم فيه الجسور الحديدية بدلاً من الأخشاب

9- العمارة الحديثة وانعكاساتها على الطابع المعماري التقليدي:

خلال العقود الأخيرة شهدت اليمن نهضة عمرانية واسعة لاسيما في المدن الرئيسية، ارتبطت ارتباطا وثيقا بالتطور التكنولوجي في مجال البناء والتشييد، يمكن حصرها في اتجاهين رئيسيين هما:

1- عمارة حديثة ذات طابع معماري تقليدي
2- عمارة حديثة تختلف جذريا عن العمارة التقليدية

1.9- عمارة حديثة ذات طابع معماري تقليدي

هذا النوع من العمارة الحديثة الممزوجة بالطابع التقليدي شكلت امتداداً وتطويراً للعمارة التقليدية وأدخلت على المعمار اليافعي تطورات وتحسينات عديدة في الشكل والمضمون مع المحافظة على أسس البناء والشكل الخارجي للمبنى، منها ما هو في الجانب الوظيفي أو في تقسيم الفراغ الداخلي، حيث نجد أن العمارة الحديثة ذات الطابع التقليدي استخدمت مواد البناء التقليدية (الحجر والأخشاب) إلى جانب مواد البناء الحديثة (الأسمنت والحديد) (شكل 20)، وتم توسيع المساحات المستخدمة للبناء، وتقسيم الفراغات المعمارية لتكون امتدادا لسابقاتها في العمارة التقليدية مع اختلاف في المساحة وعدد الغرف وإدخال خدمات المياه والصرف الصحي والكهرباء وبلورت عمارة حديثة تتناسب مع التغيرات التي طرأت على المجتمع في جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتتلاءم مع البيئة المحلية والعادات والتقاليد(الأشكال 21، 22، 23).

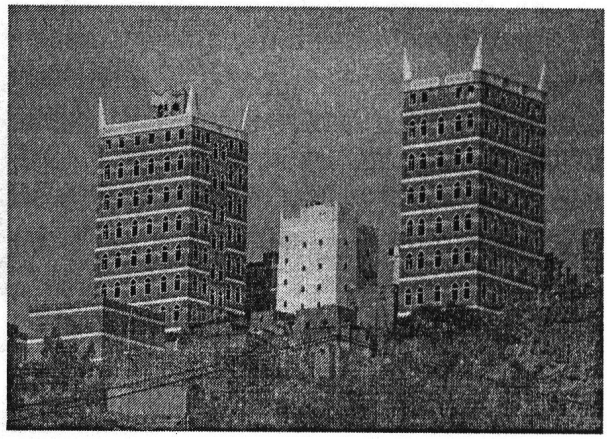

شكل 22: منظر لمباني توسعت مساحاتها المستخدمة للبناء

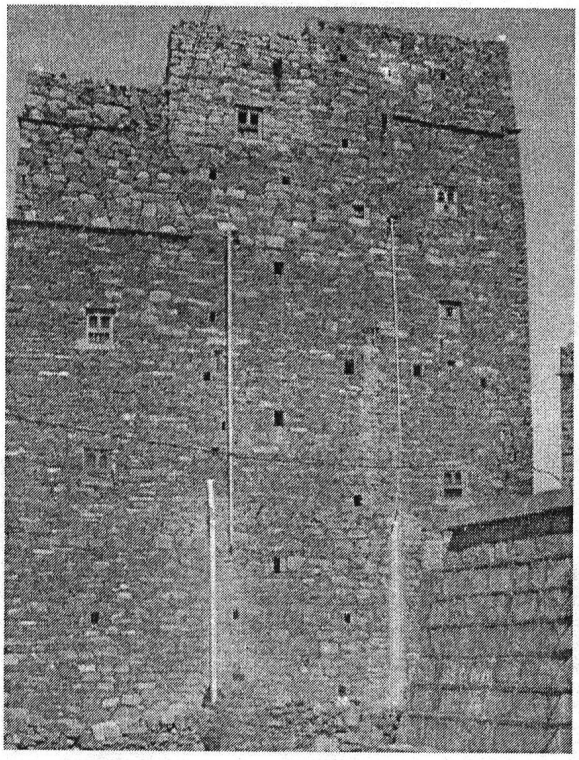

شكل 23: صورة توضح إدخال خدمات المياه والصرف الصحي

2.9- عمارة حديثة تختلف جذريا عن العمارة التقليدية :

هذا النوع من العمارة الحديثة يختلف جذريا عن العمارة التقليدية والتراث المعماري في يافع من كافة النواحي سواءً في الشكل أو الوظيفة ويعتمد على الاقتباس الكلي أو الجزئي لكل ما هو مستورد من العمارة الغربية (العمارة الخرسانية) الذي لا يمت للبيئة المحلية والنمط المعماري بأي صلة، ويعتمد كلياً على مواد البناء المستوردة والطرق الإنشائية الحديثة الأمر الذي أدى إلى إنتاج عمارة غريبة عن المنطقة تشكل كتل معمارية تعتمد في إنشاءها على الخرسانة المسلحة (الحديد والاسمنت)، جعلت من الاقتباس العشوائي للعمارة الأوروبية والغربية أساسا في تكوينها وهيئتها وطابعها المعماري ونمطاً معمارياً لا يستطيع التلاؤم مع بيئة معمارية خصبة ذات طابع فريد ومتناغم مع كل النواحي(شكل 24).

كما تم التوسع في المساحات المستخدمة للبناء باستخدام الآلات الحديثة لتهيئة الأرض للبناء، على حساب الأرض الزراعية(شكل 25).

شكل 24: منظر لمبنى لايمت للبيئة المحلية والنمط المعماري بأي صلة

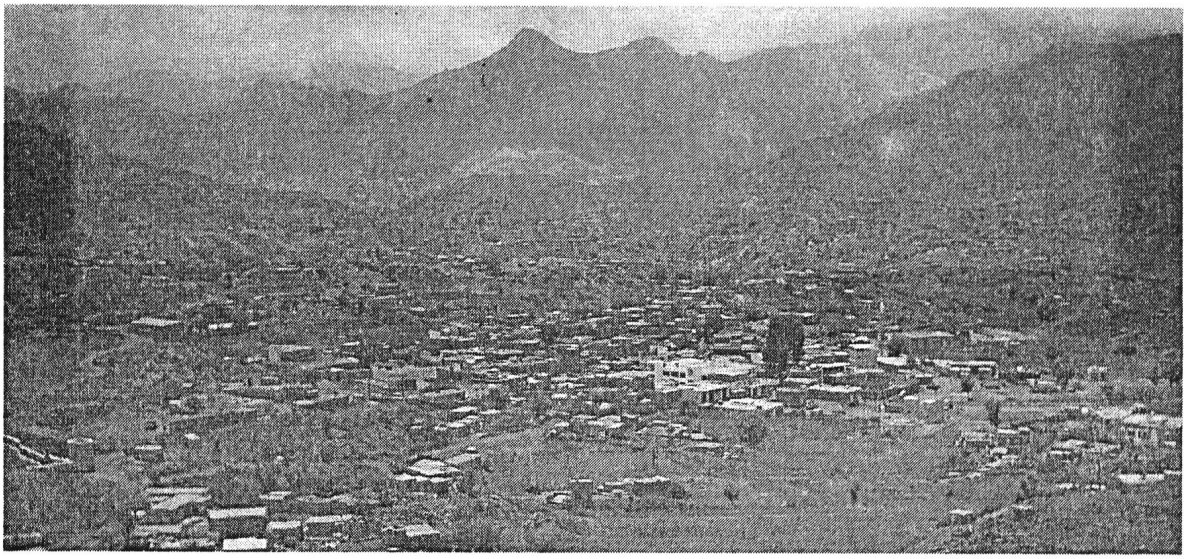

شكل 25: منظر داخلي لسقف استخدم فيه الجسور الحديدية بدلاً من الأخشاب

10- الخلاصة:

يعتبر المعمار التقليدي اليافعي أحد أنواع العمارة التقليدية في اليمن، وهو كبقية أشكال العمارة التقليدية يواجه تحديات وتهديدات متزايدة، منها نقص معلمي البناء المحليين وعدم توارث هذه المهنة نتيجة لانتشار أنماط البناء الحديثة التي تستغني عن استخدام مواد البناء المحلية والمهارات والتصاميم والفنون المعمارية التقليدية المتوارثة.

وخلال العقود الأخيرة شهدت المنطقة تحولات كبيرة في عملية البناء ودخلت مواد البناء الجديدة إلى المنطقة، حيث شكل البناء الحديث بالاسمنت والخرسانة المسلحة تهديدا كبيراً للعمارة الحجرية في يافع بسبب قلة تكلفة البناء الأولية والسرعة في تجهيز المبنى، فضلاً عن التوسع الأكبر للمساحات بسبب نقص سماكة الجدران إلا أن هذه المميزات الأولية تتضاءل أمام تحديات البيئة الطبيعية للمنطقة، وعليه يجب نشر المعرفة العلمية بين أبناء المنطقة للتعامل مع هذا التطور والتوسع العمراني على أساس التكامل والانسجام التام بين الطبيعة المحلية والنهضة العمرانية الحديثة، وعدم الانجراف إلى التقليد والنسخ من عمارة مستوردة ذات طابع معماري يختلف عن البيئة المحلية.

إن الأخطار التي تهدد العمارة التقليدية في اليمن تتطلب تضافر جهود المؤسسات العلمية والرسمية والأهلية لشرح أهميتها وفق رؤية واضحة وخطوات وإجراءات عملية وواقعية وخصوصاً من قبل مدرسي وطلاب العمارة في الجامعات اليمنية.

المراجع:

1. شجاع، علي مسعد، 2008، فن العمارة الحجرية في منطقة يافع، الندوة العلمية حول العمارة اليمنية وتحديات العصر، كلية الهندسة، جامعة عدن، عدن، ص237 - 255.
2. عبادي، نادر سعد، 2010م، الموسوعة اليافعية1، دار الوفاق للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، الجمهورية اليمنية – عدن، ص 58 – 65.
3. علي، جواد، 1993، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، ص517
4. العمري، محمد محسن محمد، 2008، المعمار اليافعي: طراز فريد يوفر الراحة والأمان، الندوة العلمية حول العمارة اليمنية وتحديات العصر، كلية الهندسة، جامعة عدن، عدن، ص 41 - 54.
5. الجهاز المركزي للإحصاء، 2004، "النتائج النهائية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت" لعام 2004م، ص25.
6. معلومات حصل عليها الباحث من معالمة البناء أثناء النزول الميداني للمنطقة.

Stone architecture in Yafea

Ahmed Ibrahim Hanshoor
Department of Archaeology, Faculty of Arts, University of Aden, Yemen
Email: Hanshoor1@gmail.com

Abstract

The architectural heritage is a genuine image of the right development of Yemen civilization, and is closely linked to the environmental, climatic characteristics and topography of the region of origin, as well as the social and cultural nature.

Yemeni traditional architecture was characterized by considerable diversity in building styles, including "stone architecture in Yafa' " which is important in maintaining originality and identity extended deep into history with their distinctive maintained thousands years ago and manifested in mutual harmony between nature and architecture, and social relations.

But in the modern stage it exposed for the invasion of new building materials that have spread such as the spread like wildfire, which they do not match the prevailing climate in that region.

Key words: Stone architecture, natural factors, stone , clay, modern building.